الحرب اخت الانسان

بقلم الاديب المجيد محمد رفيق بك العظم الدمشقي قال

لو تتبعنا تاريخ الانسان لوجدنا الحرب علة ملازمة له منذ نشأ في بقعته الضيقة الاولى وانما بفعل التوالد فتحوّل عن تلك البقعة جماعات واحزاباً في التماس الرزق واضطرت تلك الجماعات والاحزاب الى الاجتماع المدني الذي ولّد فيها المنافسة والحسد وحب التغلب فاخذ بعضها يسطو على بعض ثم عمدوا من ثم الى اعمال الفكرة فيما يدافعون به عن انفسهم عند مسيس الحاجة فاستعملوا العصا ونحوها من الآلات الحقيرة حتى اضطروا بحكم الضرورة الى استبدالها بما هو اشدّ منها تأثيرًا واقوى فعلاً فاخترعوا الفؤوس والسكاكين من الحجر الصلد ثم ترقوا من ذلك الى عملها من النحاس ثم من الحديد وترقت بهم الحاجة مع ترقي المدنية الى تخطيط المدن وتشييد الامصار وحفر الخنادق واقامة الاسوار واختراع السيوف والرماح والدروع وما ماثل ذلك من آلات القتال

ولا يخفى ان كل هيأة اجتماعية لا بد لها من رئيس يدبر امورها والظاهر ان اول جمعية من الانسان انضم افرادها في سلك الاجتماع اقامت لها رئيساً ينظم سيرها ويقوم بامرها ومن ثم تأسست الحكومات البسيطة التي يرأسها الشيخ ثم الامير وهكذا تقدمت بتقدم المدنية والعمران الى ان صارت حكومات كبرى منتظمة يتولاها الملك او السلطان . ومن البديهي انه بقدر عظم الجمعية تعظم مطامعها فتندفع الى التغلب على الضعيف من الجماعات

وذلك مما يدعو الى التفنن باختراع الآلات الحربية التي يترتب عليها حماية الذمار ودفع الاخطار

وبناءً على ذلك تكون الحرب قد نشأت من الانسان وترقت بترقيه في كل زمان وهي باعتبار اسبابها علة سارية في جسم المجتمع العالَمي لا سبيل لاستئصال جراثيمها المتولدة في الجمعيات الانسانية الا باحد امرين اما بوضع قوانين اشبه بالقوانين الموضوعة للافراد ترتبط بها الاقوام كارتباط الافراد فتلزم كل قوم بمراعاة جانب الحق واما بوقوف الانسان عند حد الواجب ومعرفته ماله وما عليه . فالاول يحتاج الى قوة تقوم بتنفيذ ذلك القانون كالقوة الحاكمة التي تتولى فصل المشاكل بين الافراد طوعاً كان او كرهاً والثاني يتوقف على بلوغ المرء من المدنية درجة تقف به عند حد الكمالات الانسانية

ولما كان الانسان مفطوراً على الطمع وطلب المزيد دائماً واو بلغ من الارتقاء ما بلغ كان كلا هذين الامرين ممتنع الحصول بين الناس . اما الاول فلاننا نرى الحاكم الذي يتولى فصل الخصومات بين الافراد لو حكم على احد بمقتضى القانون ان يدفع حقاً لآخر مثلا ثم تركه لاختياره في قبول ذلك الحكم او رفضه لاختار الرفض على القبول بلا كلام فحينئذٍ تنتفي الفائدة المقصودة من وضع القانون لو لم تكن وراءه قوة تجبر على تنفيذ مقتضياته وهي القوة الاجرائية التي هي في غير شخص ذلك الحاكم مما اختص به رجال التنفيذ المكلفون باتخاذ وسائله التي رتبها لهم القانون واذا كان القانون قائماً بالقوة بين الافراد فما بالك به بين العموم لاجرم انهُ يستحيل

وجود قوة اجرائية تكون نسبتها الى عموم الجماعات او بعضها كنسبة تلك الى خصوص الافراد وعلى تقدير امكان وجود تلك القوة وتنفيذها للاحكام فباية صفة اجرائية ينبغي ان تكون اذ يلزم ان تخالف الصفة التي يعامل بها الافراد خلافاً ربما يكون من نتيجته المقاومة التي يبعث عليها انضمام العصبية فان المجموع صعب من الفرد انقياداً

ورب قائل ان وضع القوانين وان استحال لهذه الاسباب فانه ممكن اذا كان الغرض جعله حكماً يرجع اليه عند وقوع الخلاف بين الدول فيفصل فيه بطريق المسالمة والتراضي فالجواب عن هذا انه وان يكن قريب الحصول عديم الجدوى لانه لا بد وان يكون مصدر الخلاف بين الدول تعدياً ناشئاً عن طمع احداهن في اهتضام جانب الاخرى وسلب حقوقها والمتعدي غالباً يكون على ثقة من قوته وقدرته ولولا ذلك ما اعتدى وهو يعلم انه الى جانب الخيبة اقرب فكيف مع هذه الثقة العمياء يقبل حكماً يسلبه ما طمحت نفسه اليه وتعلقت مطامعه به وهكذا الحال بين عامة الدول ولا حكم لديها الا للقوة والسيف فكثيراً ما يقع بين الدول معاهدات وشروط على حفظ السلم وصيانة حقوق الرعايا مما هو اشبه بالقوانين فلا تلبث ايدي المطامع ان تمزقه فتثور ثائرة الحرب وغائلة العدوان . وفي هذا كله برهان على عدم امكان الامر الاول

واما الامر الثاني فهو كذلك ايضاً بدليل مرور الآلاف المؤلفة من السنين على نوع الانسان مع عدم وصوله الى نهاية الكمال فان الكمالات لا تتناهى وكيف لا يكون كذلك ونحن نرى اعظم الامم في هذا العصر علماً

ومدنية اقربها الى الشرّ واشدها تهافتاً على بواعث المنازعات والمخاصمات فانّى للانسان ان يصل الى درجة الكمال الصحيح

ولا عبرة بما يراه البعض من ان الاختراعات الحديثة المتوالية في معدات الحروب ستكون سبباً في منع الحرب بين الدول المتمدنة نظراً لخطر غوائلها من تخريب البلدان وازهاق الارواح وما شاكل ذلك مما تأباه بزعمهم العواطف الانسانية الشريفة . فلو سلمنا باحتمال منع الحرب بين الامم المتمدنة فانما يكون المانع منها الى اجل محدود هو المناظرة القائمة بين الدول في اعداد المهمات الحربية التي تستلزم بقاء التوازن بينهن جميعاً على ان هذا الاحتمال بعيد عن اليقين ايضاً لما عسى ان يفضى اليه استمرار المناظرة من تحمل الناس من مصائبها ما ينزع منهم الصبر فيثورون مندفعين بحكم الضرورة الى الحرب تخلصاً من تلك المصائب وبيعاً لتعب الحال براحة المآل ولو زمنا ما

ولو تأملنا في احوال الوجود قليلاً لرأينا ان التمدن الغربي الحالي من أهم الاسباب الجالبة للحرب نظراً لوصول اهله من التفنن في الاعمال الى درجة اوجبت سد ابواب الارزاق في اوجه الضعفاء منهم فاضطرتهم الحال لاحد امرين اما ان يقوموا ضد حكوماتهم واغنياء بلادهم واما ان يهاجروا سعياً وراء الرزق وكلا الامرين لا يتم بغير القوة والعصبية اما الاول فيكفي في اثباته ما نراه ونسمعه من ازدياد الفوضويين والاشتراكيين والعدميين في اوروبا وماهم الاقوم ضيقت عليهم سبل الارزاق فاضطروا الى التجمهر والتماس الرزق بقوة السيف وطلب المساواة في جميع الحقوق وهو امرٌ وان لم يبعث الآن على حرب فلسوف يزداد هوله بازدياد تقدم التمدن الجديد

واما الامر الثاني وهو المهاجرة فانه قائم بالاستعمار في البلاد التي لم تطأها قدم التمدن الجديد وهيهات ان يستسلم سكان تلك البلاد الى عوامل التغلب عليها دون حرب ولا قتال وذلك من المشاهد المحسوس وزد على هذا ما ينشأ عن التزاحم الاستعماري فان الحاجة الى الاستعمار تزداد يوماً عن يوم وسوف يظهر تسابق الدول في ميادين المناظرة الاستعمارية في افريقيا واسيا ما هو خفيٌّ الآن

وبناءً على ما تقدم يلزم ان نحكم باستحالة امتناع الحرب الا اذا استحال الانسان وزال منه الطمع بالمرة فهي ما زالت ولن تزال ناشرة جناحيها على الخافقين . وللحرب اسباب سنفرد لها مقالة اخرى ان شاء الله تعالى

التشخيص العربي

سرنا تقدم هذا الفن الجليل في هذه الايام وارتقاؤه الى درجة لا تحط عن درجة التشخيص الغربي وسرنا ايضاً ما رايناه من اقبال الجمهور عليه وارتياحهم الى تقدمه ونجاحه فقد كان تياترو شارع عبد العزيز في ليلة الجمعة الماضية غاصاً بالناس على اختلاف طبقاتهم لحضور تمثيل رواية محاسن الصدف وهي رواية بديعة نالت من القبول اوفر نصيب من تأليف صديقنا الفاضل « محمود افندي واصف » ولقد أجاد المشخصون كل الاجادة وابدعوا غاية الابداع ولا سيما حضرة المتفنن البارع الشيخ سلامه حجازي فقد خلب القلوب بحسن تشخيصه وشنف الاسماع بدرر انغامه

وقد قام في وسط هذه الحفلة حضرة الخطيب البليغ الفاضل اسماعيل